مشكل القرآن المتعلق بالمتشابه اللفظي
في تفسير البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)

الباحث/ أبو علوي ضاحي عبد الرؤوف
إشراف
دكتورة/ هدى حسن صديق

المستخلص:

يناقش هذه البحث موضع المشكل القرآني في تفسير البقاعي والمتعلق بموضوع المتشابه اللفظي، وقد اعتنى الإمام البقاعي عناية بالغة بموضوع مشكل القرآن الكريم المتعلق بالمتشابه اللفظي في تفسيره، وبذل جهدا كبيرا في دفعه عن طريق ذكر الكثير من الآيات والأحاديث التي تدفع ذلك التناقض والاختلاف بما يثبت في النهاية أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم خبير

الكلمات المفتاحية: مشكل، المتشابه، اللفظي، البقاعي.

Abstract:

This research discusses the subject of the Qur'anic problem in Al-Buqa'i's interpretation, which is related to the issue of verbal similarities. Imam Al-Buqa'i paid great attention to the issue of the problem of the Holy Qur'an related to verbal similarities in his interpretation, and he made a great effort to address it by mentioning many verses and hadiths that repel that contradiction and difference, proving in the end that the Holy Qur'an is a revelation from an expert sage.

Keywords: problem, similarity, verbal, Bekaa.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وبعد،،،

فإن القرآن الكريم كتاب الله تعالى أنزله بالحق وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور؛ لأنه منبع الهداية ومعلم الرشاد ومعجزة الإسلام الخالدة، ولذا عكف العلماء على دراسته وتفسيره حتى بلغوا مكانا عظيما في فهم ما أشكل على بعض الناس، واستخراج أسراره البلاغية وكنوزه المعنوية، وبذلوا في ذلك النفيس والغالي وأفنوا أعمارهم في تحقيق هذه الغاية المنشودة.

وقد نال مشكل القرآن الكريم اهتمام العلماء قديما وحديثا، وأخذوا في دراسته وتحليله ، ووقوع الإشكال في تفسير الآيات أمر نسبي، فقد تشكل الآية على بعض الناس، ولا تشكل على آخرين، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى الاهتمام بهذا الفن، والناظر في مدارس المفسرين يرى من محققيهم اعتناء بهذا الجانب في تفاسيرهم، ومن هذه التفاسير التي عنيت بهذا الجانب تفسير البقاعي؛ لذا اخترت أن يكون موضوع بحثي بعنوان(مشكل القرآن المتعلق بالمتشابه اللفظي في تفسير البقاعي)

أولا: أسباب اختيار الموضوع:

١ــ عناية تفسير البقاعي بمشكل المتشابه اللفظي تظهر في الكثير من مواضع الآيات.

٢ــ توجيه المتشابه اللفظي يثري المعاني العامة للآيات في تفسيره.

٣ــ لم أجد في أثناء بحثي في مصادر البحث المختلفة دراسة سابقة تكشف عن توجيه مشكل القرآن في تفسير البقاعي.

٤. رد الكثير من الشبهات التي تثار من حين لآخر من قبل المستشرقين وغيرهم

رابعا: منهج الدراسة:

اعتمدت في دراستي على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بتتبع ما ذكره الإمام من توجيه لبعض الآيات المشكلة مع عقد موازنة بين أقواله وأقوال المفسرين في هذا التشابه.

إجراءات البحث:

ــ أما طريقة دراسة المواضع فهي كالآتي:

أــ ذكر الألفاظ التي فيها تشابه.

ب ــ توجيه قول الإمام في تلك المواضع.

ت ــ عقد موازنة بين قول الإمام في مواضع التشابه والاختلاف وأقوال المفسرين.

ج ــ عزو الآيات القرآنية في الهامش بذكر اسم السورة ورقم الآية.

د ــ تخريج الأحاديث النبوية وبيان الصحيح منها والضعيف والموضوع.

ه ــ ترجمة الأعلام غير المشهورين.

الدراسات السابقة: أما عن الدراسات السابقة للمشكل القرآني المتعلق بالمتشابه اللفظي في تفسير البقاعي فلم أجد ــ على حد علمي ــ بحث تناول هذه القضية، بيد أن هناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع المتشابه القرآني بشكل عام أذكر منها:

١ــ متشابه القرآن دراسة موضوعية للدكتور عدنان محمد زرزور، بين فيه المتشابه اللفظي، والآيات التي تتكرر في القرآن بزيادة أو نقص.

٢ــ الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم عرضا ودراسة، أحمد بن عبد العزيز مقرن القصير، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٣٠ه.

٣ــ توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرا وإعرابا، للطالب/ عبد العزيز بن علي الحربي، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.

وهي بعيدة كل البعد عن موضوع دراستي.

خطة البحث: أما عن خطة البحث فإن هذا البحث يتكون من مقدمه ومبحثين وخاتمة تعتمد علي اهم النتائج والتوصيات التي توصل اليها البحث

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف المتشابه اللفظي وأنواعه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المتشابه لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: أنواع المتشابه اللفظي

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية على توجيه المشكل للتشابه اللفظي

المبحث الأول: تعريف المتشابه اللفظي وأنواعه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحا:

أولا: المتشابه لغة: بضم الميم وكسر الباء هو اسم فاعل مشتق من التشابه، أما أراء بعض علماء اللغة الأجلاء الذين تحدثوا عن المتشابه فهي:

١ــ قال الجوهري: شِبْهٌ وَشَبَهٌ لغتان بمعنىً. يقال: هذا شِبْهُهُ، أي شَبيهَهُ. وبينهما شَبَهٌ بالتحريك، والجمع مَشابَهُ على غير قياس، كما قالوا مَحاسِنُ ومَذاكيرُ. والشُبْهَةُ: الالتباسُ. والمُشْتَبِهات من الأمور: المشْكِلاتُ. والمُتشابِهاتُ: المُتَماثِلاتُ[١]

٢ــ قال ابن فارس:" الشِّينُ وَالْبَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَشَابُهِ الشَّيْءِ وَتَشَاكُلِه لَوْنًا وَوَصْفًا. يُقَالُ شِبْهٌ وَشَبَهٌ وَشَبِيهٌ. وَالشَّبَهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ: الَّذِي يُشْبِهُ الذَّهَبَ. وَالْمُشَبَّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ: الْمُشْكِلَاتُ. وَاشْتَبَهَ الْأَمْرَانِ، إِذَا أَشْكَلَا[٢]

٣ــ وقال الزمخشري:" وتشابه الشيئان واشتبها، وشبّهته به وشبّهته إياه، واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لإشباه بعضها بعضاً. وفي القرآن المحكم والمتشابه. وشبه عليه الأمر: لُبّس عليه، وإياك والمشبهات: الأمور المشكلات. ووقع في الشبهة والشبهات. وعنده أواني الشبه والشبه[٣].

٤ــ قال ابن منظور:" الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْباهٌ. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ. وَفِي الْمَثَلِ: مَنْ أَشْبَه أَباه فَمَا ظَلَم. وأَشْبَه الرجلُ أُمَّه: وَذَلِكَ إِذَا عَجَزَ وضَعُفَ؛وتَشابَه الشيئانِ واشْتَبَها: أَشْبَهَ كلُّ واحد مِنْهُمَا صاحِبَه. وَفِي التَّنْزِيلِ: مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِه، وشَبَّهه إِياه وشَبَّهَه بِه مَثَّلَهُ. والمُشْتَبِهاتُ مِنَ الأُمور: المُشْكِلاتُ. والمُتَشابِهاتُ: المُتَماثِلاتُ. وتَشَبَّهَ فلانٌ بِكَذَا. والتَّشْبِيهُ: التَّمْثِيلُ[٤].

٥ــ قال الفيروز أبادي:" وشابَهَهُ وأَشْبَهَهُ: ماثَلَهُ،وتَشابَهَا واشْتَبَها: أَشْبَهَ كُلٌّ منهما الآخَرَ حتى الْتَبَسا. وأُمورٌ مُشْتَبِهَةٌ ومُشَبَّهَةٌ، كَمُعَظَّمَة: مُشْكِلَةٌ[٥]

ومن خلال التعريف اللغوي للمتشابه واتفاق العلماء على أصل هذه المادة والتي تدور على معنيين هما التماثل والالتباس.

قال ابن قتيبة:" ثم قد يقال لكلّ ما غمض ودقّ متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشّبه بغيره، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطّعة في أوائل السّور: متشابه، وليس الشك فيها، والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها، والتباسها بها.ومثل المتشابه (المشكل) . وسمي مشكلا: لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله.ثم قد يقال لما غمض– وإن لم يكن غموضه

من هذه الجهة–: مشكل.وقد بيّنت ما غمض من معناه لا لتباسه بغيره، واستتار المعاني المختلفة تحت لفظه، وتفسير (المشكل) الذي ادّعي على القرآن فساد النّظم فيه[٦].

ثانيا: المتشابه اصطلاحا: فهو تشابه اللفظ واختلاف المعنى كما قال تعالى:" والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه) أي: متفق المناظر مختلف الطعوم، والمتشابه على نوعين: الأول: المتشابه الذي يقابل المحكم: وهو الذي قال عنه الزركشي: ما أمرت أن تؤمن به وتكل علمه إلى عالمه، وقيل: ما لا يدرى إلا بالتأويل ولا بد من صرفه إليه.... والثاني: وهو ما يهمنا في دراستنا هذه أي: وهو النوع الثاني من المتشابه، وهو الذي يدرك الحكم من ورائه، ويمكن تتبع دلالاته، وتوجيه معناه، وأطلق عليه المتشابه اللفظي[٧]

فالتشابه اللفظي يراد به عند العلماء الآيات التي تحوي ألفاظا متفقة في صور شتى وقد شرحه السيوطي بقوله:" والقصد به إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة بل تأتي في موضع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا ... أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها ... أو في موضع معرفا وفي آخر منكرا أو مفردا وفي آخر جمعا أو بحرف وفي آخر بحرف آخر أو مدغما وفي آخر مفكوكا"[٨]

ومن العلماء من عرف المتشابه اللفظي أنه الآيات ــ المتكررة أو القصص المتكررة وكانوا يطلقون على الآيات التي يصعب عليهم توجيه التشابه اللفظي فيها: مشكل القرآن، وذلك لأن المصنف قد يبحث عن الحكمة في تشابه الآية مع الأخرى فيقوده ذلك إلى بيان وتفسير الآيات ثم ينتقل بعد دراسة الآية إلى بيان العلة في إدخالها في المتشابه اللفظي مع بيان وجه اختلافها عن الآية الأخرى، وقد أشار إلى ذلك المعنى الكرماني في كتابه البرهان في متشابه القرآن حيث قال:" ولكني أفردت هذا الكتاب لبيان المتشابه فإن الأئمة ــ حفظهم الله ــ قد شرعوا في تصنيفه واقتصروا على ذكر الآية ونظيرها ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها، وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه"[٩]

المطلب الثاني: أنواع المتشابه اللفظي:

تحدث عدد من العلماء عن أنواع المتشابه اللفظي منهم

الإمام ابن الجوزي وذكر له ثلاثة أنواع :

النوع الاول:باب إبدال كلمة بكلمة أو حرف بحرف

في البقرة: **(فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ)**[١٠]، وفي حم السجدة: ﴿ **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**﴾[١١]

الثاني: الزيادة والنقصان في البقرة: ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾[١٢] ، وفي يونس: ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ** ﴾[١٣] الثالث:التقديم والتأخير في البقرة﴿ **إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[١٤] وفي التحريم ﴿ **وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾[١٥]

وهذا التقسيم لا يستوعب كل أنواع المتشابه

وذكر الأصفهاني في مفرداته وكذلك السيوطي: أن المتشابه في الجملة ثلاثة أضرب: متشابه من جهة اللفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما.

والمتشابه من جهة اللفظ ضربان:

أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك إما من جهة غرابته نحو: الأب[١٦]، ويزفون[١٧]، وإما من جهة مشاركة في اللفظ كاليد والعين.

والثاني يرجع إلى جملة الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب

ضرب لاختصار الكلام

وضرب لبسط الكلام

وضرب لنظم الكلام.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية على توجيه المشكل للتشابه اللفظي

١ــ في قوله تعالى﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[١٨]

نص الإشكال:

حذف حرف النون في ضمير المتكلم (بأنا) بينما ذكره في قوله تعالى:" ﴿ **وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ**﴾[١٩] مع أن القول في الآيتين للحواريين.

قال الإمام البقاعي:" ولما كان الإيمان باطناً فلا بد في إثباته من دليل ظاهر، وكان في سياق عدّ النعم والطواعية لوحي الملك الأعظم دلوا عليه بتمام الانقياد، ناسب المقام زيادة التأكيد بإثبات النون الثالثة في قولهم: ﴿**وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا** ﴾ بخلاف آل عمران"[٢٠]

تحرير محل الإشكال:

فسياق آية المائدة يدور حول قضيتين رئيسيتين: الأولى: الإيمان، والثانية: تعداد النعم والطواعية والانقياد الظاهر والباطن، والإيمان باطن لا يعلمه إلا الله، والإنسان مع النعمة قد يطغي وينسى قدرة خالقه ويتظاهر بالانقياد لله في ظاهره فقط، ففي هذه الأجواء جاء رد الحواريون بقولهم﴿ **بِأَنَّنَا**﴾ بتوكيد زائد عما جاء في آل عمران أوجبه المقام الذي حدث فيه الكلام، ناسب هذا التوكيد والزيادة ذكر حرف النون في سورة المائدة محاولين بذلك إثبات أن ما في باطنهم من الإيمان واليقين والطواعية والانقياد لله تعالى بما لا يختلف عما في ظاهرهم.

دفع الإشكال:

بينما تباين توجيه العلماء لهذا الحذف والذكر؛ فقال ابن الزبير الغرناطي:" أن آية المائدة لما ورد فيها التفصيل فيما يجب الإيمان به وذلك قوله: ﴿**أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي**﴾ فجاء على أتم عبارة في المطلوب وأوفاها ناسب ذلك ورود ﴿**بِأَنَّنَا**﴾ على أوفى الحالين وهو الورود على الأصل، ولما لم يقع إفصاح بهذا التفصيل فى آية آل عمران حين قال تعالى: ﴿ **قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ فلم يقع هنا "وبرسوله " إيجازا للعلم به وشهادة السياق ناسب هذا الإيجاز كما ناسب الإتمام فى آية المائدة الإتمام فقيل هنا: "واشهد بأنا مسلمون " وجاء كل على ما يجب[٢١]

فناسب الإيجاز حذف النون في موطن الحذف كما ناسب الإطالة ذكرها لمناسبة المعنى في الموطن الآخر، فآية المائدة لما ورد فيها التفصيل فيما يجب الإيمان به " فجاء على أتم عبارة في المطلوب وأوفاها ناسب ذلك ورود "أننا " على أوفى الحالين وهو الورود على الأصل، ولما لم يقع إفصاح بهذا التفصيل في آية آل عمران حين قال تعالى: ﴿**قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ فلم يقع هنا "وبرسوله " إيجازا للعلم به وشهادة السياق ناسب هذا الإيجاز كما ناسب الإتمام في آية المائدة الإتمام فقيل هنا: " **وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** " وجاء كل على ما يجب ولو قدر ورود العكس لما ناسب والله سبحانه أعلم بما أراد"[٢٢].

وقد اكتفى أبو حيان رحمه الله تعالى بقوله عند تفسير آية المائدة:" وجاء هناك واشهد بأنا، وهنا واشهد بأننا. وهذا هو الأصل إذ أن محذوف منه النون لاجتماع الأمثال[٢٣] دون بيان منه لمشكل الحذف والذكر تفصيلا.

فيما وجه ابن جماعة هذا فقال:" آية المائدة في خطاب الله تعالى لهم أولا، وفى سياق تعدد نعمه عليهم أولا، فناسب سياقه تأكيد انقيادهم إليه أولا عند إيحائه إليهم، وآية آل عمران في خطابهم المسيح لا في سياق تعدد النعم فاكتفى ثانيا بـ (أنَّا) لحصول المقصود[٢٤].

فابن جماعة هنا حاول توظيف السياق لحل التشابه، وبيان الاختلاف في الذكر والحذف، بيد أن الإمام البقاعي كان أكثر ظهورا ووضوحا في بيان هذا.

ومن ثمّ: إن الذي في سورة المائدة جاء على الأصل غير مخفف بالحذف، لأنه أول كلام الحواريين في هذا المعنى، ألا تراه خبرا عن الله تعالى، والذي في سورة آل عمران حكاية عن عيسى عليه السلام أنه ساهم عما أقروا به لله تعالى، فقال﴿ **قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[٢٥] فكان ذلك منهم إقرارا ثانيا لرسوله عليه السلام بمثل ما أقروا به الله تعالى، والثاني يختار فيه من التخفيف ما لا يختار في الأول.

٢ ــ قوله تعالى في سورة الكهف ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾(٢٦) قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾(٢٧)

نص الإشكال:

ففي الآية الأولى أثبت حرف التاء في قوله" تستطع" وفي الآية الثانية حذفها.

قال البقاعي: ولما بان سر تلك القضايا، قال مقدراً للأمر: ﴿**ذَلِكَ** ﴾ أي لشرح العظيم ﴿**تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ** ﴾ يا موسى ﴿**عَلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ وحذف تاء الاستطاعة هنا لصيرورة ذلك – بعد كشف الغطاء – في حيز ما يحمل فكان منكره غير صابر أصلًا لو كان عنده مكشوفاً من أول الأمر(٢٨).

تحرير محل الإشكال:

فقوله: تسطع مضارع اسطاع بهمزة الوصل، يقال ما أستطيع وما أسطيع وما أستتيع وأستيع أربع لغات، وأصل اسطاع استطاع على وزن استفعل، فالمحذوف في اسطاع تاء الافتعال لوجود الطاء التي هي أصل ولا حاجة تدعو إلى أن المحذوف هي الطاء التي هي فاء الفعل، ثم أبدلوا من تاء الافتعال طاء، وأما أستتيع ففيه أنهم أبدلوا من الطاء تاء، وينبغي في تستيع أن يكون المحذوف تاء الافتعال كما في تسطيع(٢٩).

فهو يرى أن الحذف مربوط بالكشف، والكشف مظنة التخفيف وإدخال الأمر في مستطاع الإنسان، وأخذ الكشف من سياق الآيات التي تبين أن الخضر كشف لموسى (عليه السلام) عن الأسباب التي أدت إلى الأفعال التي قام بها وكانت سببا في التساؤل الذي يحمل معنى الاعتراض بين ثناياه، وبهذا التفريق بين الموضعين يظهر توظيف البقاعي للآيات.

دفع الإشكال:

واكتفى أبو حيان بذكر أنها لغات عند حديثه عن الفعل(تسطع):" وتسطع مضارع اسطاع بهمزة الوصل. قال ابن السكيت: يقال ما أستطيع وما أسطيع وما أستتيع وأستيع أربع لغات، وأصل اسطاع استطاع على وزن استفعل، فالمحذوف في اسطاع تاء الافتعال لوجود الطاء التي هي أصل ولا حاجة تدعو إلى أن المحذوف هي الطاء التي هي فاء الفعل، ثم أبدلوا من تاء الافتعال طاء، وأما أستتيع ففيه أنهم أبدلوا من الطاء تاء، وينبغي في تستطيع أن يكون المحذوف تاء الافتعال كما في تسطيع(٣٠).

ولم يشر إلى سر حذف حرف التاء في الفعل ﴿ **تَسْطِعْ**﴾، بل اكتفى في ذلك بالإشارة إلى أنها لغات.

بيد أن الإمام ابن كثير وجه هذا فقد أورد عند تفسيره لكلمة(تسطع) ما نصه:" ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال: ﴿**مَا لَمْ تَسْطِعْ**﴾ وقبل ذلك كان الإشكال قويا ثقيلا

فقال: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، كما قال تعالى: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾[٣١] وهو الصعود إلى أعلاه، ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾، وهو أشق من ذلك، فقابل كلا بما يناسبه لفظا ومعنى والله أعلم[٣٢].

ودل على هذا قول ابن عاشور:" حذف تاء الاستفعال تخفيفا لقربها من مخرج الطاء، والمخالفة بينه وبين قوله ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ للتفنن تجنبا لإعادة لفظ بعينه مع وجود مرادفه. وابتدئ بأشهرهما استعمالا وجيء بالثانية بالفعل المخفف لأن التخفيف أولى به لأنه إذا كرر تستطع يحصل من تكريره ثقل[٣٣].

٣ ــ وجاء حذف حرف التاء من (اسْطَاعُوا) في قوله تعالى ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [٣٤] بينما ذكر في (اسْتَطَاعُوا) في نفس الآية؟

نص الإشكال:

حذف حرف التاء من (اسْطَاعُوا) بينما ذكر في (اسْتَطَاعُوا) في نفس الآية؟

يقول البقاعي:" ما (اسْطَاعُوا) أي يأجوج ومأجوج وغيرهم أي يعلو ظهره لعلوه وملاسته ﴿ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ لثخنه وصلابته، وزيادة التاء هنا تدل على أن العلو عليه أصعب من نقبه لارتفاعه وصلابته والتحام بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد ونحاس في علو الجبل... ويؤيده أنهم يخرجون في آخر الزمان بنقبه لا بظهوره[٣٥]

فهو يرى أن حذف حرف التاء جاء مع العمل الأصعب (أَنْ يَظْهَرُوهُ)، وأن ذكره جاء العمل الأخف. يقال: أستطاع واستاع واسطاع، والأول الأصل، ثم يحذفون أحد الحرفين تخفيفاً.

تحرير محل الإشكال:

فجيء أولاً بالفعل مخففاً عند إرادة نفي قدرتهم على الظهور على السدّ والصعود فوقه، ثم جيء بأصل الفعل مستوفى الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه، ولا شك أن الظهور أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم وأثقل، فجيء بالفعل مخففاً مع الأخف، وجيء به تاماً مستوفى مع الأثقل، فتناسب، ولو قدر بالعكس لما تناسب. وأيضاً فإن الثاني في محل التأكيد لنفي قدرتهم على الاستيلاء على السد وتمكنهم منه، فناسب ذلك الإطالة، وهذا يفتقر إلى بسط وبيان، مع أن الأول أولى، فلنكتف بهذا[٣٦]

دفع الإشكال:

فأعمل هنا المعنى بالمبني فالحذف مع العمل الأخف وهو الظهور. وقيل: إن الثانية تعدّت إلى اسم، وهو قوله عز وجل: (نَقْبًا) فخفّ متعلقُها فاحتملت بأن يتمّ لفظها، فأمّا الأولى فإنها

تعلّق مكانُ مفعولها بـــ "أن " والفعل بعدها، وهـــي أربعـــة أشـــياء: أنْ، والفعـــل، والفاعـــل، والمفعول الذي هو الهاء، فثقل لفظ "استطاعوا" وكان يجوز تحقيقه حيث لا يقارنه مـــا يزيـــده ثقلاً، فلما اجتمع الثقلان، واحتمل الأول التخفيف ألزم فـــي الأول دون الثـــاني الـــذي خـــف متعلّقه(٣٧).

فاخْتَار التَّخْفِيف فِي الأول لِأَن مَفْعُوله حرف وَفعل وفاعل ومفعول فَاخْتَـــارَ فِيـــهِ الْحَـــذف وَالثَّانِي مَفْعُوله اسْم وَاحِد وَهُوَ قَوْله **(نَقْبًا)** ؛ قال بعض نحويي البصرة: فعـــل ذلـــك لأن لغـــة العرب أن تقول: اسطاع يسطيع، يريدون بها: استطاع يستطيع، ولكن حذفوا التاء إذا جمعـــت مع الطاء ومخرجهما واحد. قال: وقال بعضهم: استاع، فحذف الطاء لـــذلك. وقـــال بعـــضهم: أسطاع يسطيع، فجعلها من القطع كأنها أطاع يطيع، فجعل السين عوضا من إســـكان الـــواو. وقال بعض نحويي الكوفة: هذا حرف استعمل فكثر حتى حذف(٣٨).

٤ــ جاء الفعل(تك) بحذف حرف النون في قوله تعالى ﴿ **فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ**﴾(٣٩) بينما ذكر حرف النون في قوله تعالى﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِـــي مِرْيَـــةٍ مِـــنْ لِقَائِـــهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾(٤٠)

نص الإشكال:

للسائل أن يسأل عن حذف النون حيث حذفت، وإثباتها حيث أثبتت، وما الذى خصص كلا بمكانه؟.

وقد وظف البقاعي هذا فقال:" ولما عم بوعيد النار، اشتد تشوف النفس لما سبب عنه فقرب إزالة ما حملت من ذلك بالإيجاز، فاقتضى الأمر حذف نون **(تَكُنْ)** فقيل:﴿ **فَلَا تَكُ** ﴾ أي أيهـــا المخاطب (٤١)

تحرير محل الإشكال:

الحذف للإيجاز الذي يقتضيه مقام أحوال السامعين وتشوقها لسماع سبب الوعيد، وقال عند الموضع الثاني من نفس السورة:" ولما كان ما تضمنه هذا التقسيم أمراً عظيماً وخطباً جـــسيماً، اقتضى عظيم تشوف النفس وشديد شوقها لعلم ما سبب عنه، فاقتضى ذلك حذف النـــون مـــن **(تَكُنْ)**إيجازًا في الكلام للإسراع بالإيقاف على المراد والإبلاغ في نفي الكـــون علـــى أعلـــى الوجوه فقال: ﴿**فَلَا تَكُ**﴾ أي في حالة من الأحوال﴿ **فِي مِرْيَةٍ**﴾ (٤٢) بينما حملت آيـــة الـــسجدة إثبات نون **(تَكُنْ)** معنى التوكيد والثبات**(فَلَا تَكُنْ)** أن كونا راسخا بما أشار إليـــه فعـــل الكـــون وإثبات نونه، أي: عند الذي لا ينظر أو يتشوف للسماع كما هو الحال في آيات سورة هود.

وسبقه بهذا ابن الزبير فبعد حديثه عن تصرف العرب بحذف واو تكون تحدث عن حـــذف العرب لحرف النون وذكر أنه من فصيح كلامهم، ثم وجه الذكر والحذف في هـــذا الموضـــع

بقوله:" فورد في سورة هود على ما اعتمدوه من تخفيف هذا اللفظ ليناسب بذلك إيجاز الكلام المتعلق بقوله: ﴿ **فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ**﴾، والمتصل به تمامه تمام معنى المقصود [٤٣] ، فنوسب الإيجاز بالإيجاز والطول بالطول والله أعلم[٤٤]. فجعل الحذف مناسبا للكلام الموجز والذكر مناسبا للطول.

٥ ــ حذف النون من قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ وإثباتها في قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾

نص الإشكال

قوله في سورة النحل **(وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ)** وفي النمل**(وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ)** بإثبات النون.

وقد علل الإمام البقاعي حذف النون للعدل في العقوبة ولتعظيم التسلية بالحمل على الصبر، وأما ثبوت النون في (النمل) لأنه إخبار عن عنادهم واستهزائهم فليس من موجب للتناهي في الإيجاز والإبلاغ في نفي الضيق، فيفهم في إثبات النون الرسوخ[٤٥]

تحرير محل الإشكال:

فحذف نون(**تَكُنْ**) في آية النحل وأبقاها في آية النمل، وذلك أن السياق مختلف في السورتين، فالآية الأولى نزلت حين مثل المشركون بالمسلمين يوم أحد.. فنزل قوله تعالى ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾ أي: لا يكن صدرك ضيق مهما قلّ، فحذف النون من الفعل إشارة إلى ضرورة إنهاء الضيق من النفس وهذا تطييب مناسب لضخامة الأمر وبالغ الحزن، وتخفيف لأمر الحدث وتهوينه على المخاطب فخفف الفعل بالحذف إشارة إلى تخفيف الأمر وتهوينه على النفس.

أما الآية الثانية فهي في سياق المحاجة في المعاد وهو مما لا يحتاج إلى مثل هذا التصبر.

هذه الكلمة كثر دورها في الكلام فحذف النون منها تخفيفا من غير قياس بل تشبيها بحروف العلة ويأتي ذلك في القرآن في بضع عشرة موضعا تسعة منها بالتاء وثمانية باليباء وموضعان بالنون وموضع بالهمزة وخصت هذه السورة بالحذف دون النمل موافقة لما قبلها وهو قوله ﴿ **وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾

والثاني إن هذه الآية نزلت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حين قتل عمه حمزة ومثل به فقال عليه الصلاة والسلام لأفعلن بهم ولأصنعن فأنزل الله تعالى﴿**وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا**

يَمْكُرُونَ﴾ فبالغ في الحذف ليكون ذلك مبالغة في التسلي وجاء في النمل علـــى القيـــاس ولأن الحزن هنا دون الحزن هناك(٤٦)

الخاتمة:

وتشتمل على:

أولا: أهم النتائج التي توصلت إليها:

١ــ يتسع مفهوم المشكل في تفسير البقاعي ليشمل مشكل المعنى، واللفظ، وموهم التناقض والاختلاف، والقراءات والسياق القرآني، مما يدل على غزارة المادة العلمية لأئمة هذا التفسير.

٢ــ استخدم الإمام البقاعي اللغة في العديد من المواضع، وتنوعت الأدوات اللغوية التي استخدمها في توجيهه للمشكل القرآني، منها: الحمل على المجاز بنوعيه اللغوي والعقلي، وغيرها.

٣ــ يعتبر السياق من أهم الأدوات التي استخدمها البقاعي في دفع الإشكال القرآني، لعل أبرزها الاعتماد عليه في دفع الإشكال الناشئ عن عدم إدراك أسرار التشابه اللفظي.

٤ــ علل الإمام البقاعي حذف النون للعدل في العقوبة ولتعظيم التسلية بالحمل على الصبر، وأما ثبوت النون في (النمل) لأنه إخبار عن عنادهم واستهزائهم فليس من موجب للتناهي في الإيجاز والإبلاغ في نفي الضيق، فيفهم في إثبات النون الرسوخ.

٥ــ يرى البقاعي أن حذف حرف التاء جاء مع العمل الأصعب(أَنْ يَظْهَرُوهُ)، وأن ذكره جاء العمل الأخف. يقال: أستطاع واستاع واسطاع، والأول الأصل، ثم يحذفون أحد الحرفين تخفيفاً.

الهوامش:

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، مادة(شبه) ٢٢٣٦/٦

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة(شبه) ٢٤٣/٣

(٣) أساس البلاغة، للزمخشري، ٤٩٣/١

(٤) لسان العرب، لابن منظور، فصل الشين المعجمة، ٥٠٣/١٣

(٥) القاموس المحيط، فصل الشين، ١٢٤٧/١

(٦) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ٦٨/١

(٧) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٦٨/١

(٨) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٩٥٥/٢

(٩) البرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني: ص١١٠، تحقيق/ عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، ط(دت)

(١٠) سورة البقرة، الآية ٢٩

(١١) سورة السجدة، الآية١٢

(١٢) سورة البقرة، الآية٢٣

(١٣) سورة يونس، الآية٣٨

(١٤) سورة البقرة، الآية٣٢

(١٥) سورة التحريم، الآية ٢، وانظر: فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ص٤٢٠ ، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٥١٢/٣

(١٦) الكلأ

(١٧)يسرعون

(١٨) سورة آل عمران، آية٥٢

(١٩) سورة المائدة، آية١١١

(٢٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ٣٤٢/٦

(٢١) ملاك التأويل للقاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لابن الزبير الغرناطي، ١١٨/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢٢) ملاك التأويل للقاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لابن الزبير الغرناطي، ٨٧/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢٣) البحر المحيط، لأبي حيان ٤٠٨/٤

(٢٤) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لابن جماعة، ١٣٠/١، تحقيق الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط١(١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)

(٢٥) سورة آل عمران، آية٥٢

(٢٦) سورة الكهف، آية٧٨

(٢٧) سورة الكهف، آية٨٢

(٢٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ٣٤٢/٦

(٢٩) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ٢١٦/٧،

(٣٠) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ٢١٦/٧

(٣١) سورة الكهف، آية٩٧

(٣٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١٨٨/٥

(٣٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٥/١٦

(٣٤) سورة الكهف، آية٩٧

(٣٥) نظم الدرر، للبقاعي، ١٣٩/١٢

(٣٦) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لابن الزبير الغرناطي ٣٢٤/٢

(٣٧) درة التنزيل وغرة التأويل، للإسكافي، ٨٨٤/١

(٣٨) جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري، ١١٨/١٨

(٣٩) سورة هود، آية١٧

(٤٠) سورة السجدة، آية٢٣

(٤١) نظم الدرر، للبقاعي ٢٥٣/٩

(٤٢) المصدر نفسه، ٣٨٥/٩

(٤٣) السجدة، آية٢٥

(٤٤) ملاك التأويل، للغرناطي ٢٥٤/٢

(٤٥) نظم الدرر، للبقاعي، ٤٤٧/٥

(٤٦) البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص٢٢٤

قائمة المصادر والمراجع:

١ـــــــ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط(١٣٩٤ه، ١٩٧٤م)

٢ـــــ أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة رسالة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض(١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م)

٣ـــــ أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

٤ـــــ الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، ط(د.ت)

٥ـــــ أدلة التشريع المتعارضة ووجوه الترجيح بينها، د/ بدران أبو العينين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط(١٩٧٤م)

٦ـــــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط(د.ت)

٨ـــــ أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق/ محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤١٩ه، ١٩٩٨م)

١٠ـــــ الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان، الدار الفنية، القاهرة، ط(١٩٩٠م)